

«بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ..»



يقول الله عز وجل: «أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ»، (القيامة: ٣-٤).

إنه تحد هائل من رب العالمين بتعبير قرآني يؤكد القدرة المطلقة للخالق العظيم (أيحسب الإنسان أن الله تعالى ليس بقادر على أن يحيي الموتى وأنه ليس بقادر على أن ينشر عظامه وهي رميم وأنه غير مبعوث) بلَى؛ بل وأكثر من ذلك كله إنه لمعاد إنساناً في صورته نفسها بكل تفاصيل جسده التي يعرفها والتي يتميز بها عن سواه بوجهه الذي يميزه عن باقي الوجوه وبصوته الذي يفرقه عن كل الأصوات، وبتفاصيل يده التي يعرفها حق المعرفة.. وهي كلها معجزات كانت واضحة للناس في زمن التنزيل إلى اليوم، فالله يعيد الإنسان بجسده مثلما كان بكل تفاصيله ولكن الآية الكريمة فوق كل ذلك تخص إعجازاً آخر.. لم يعرف من قبل.. إنه بصمة البنان أو بصمة الأصابع التي يتميز بها الإنسان عن كل إنسان سواه؛ إذ إن الله تعالى ليس بقادر على إعادة خلق الإنسان وحسب؛ بل إنه قادر أيضاً على تسوية بنانه الذي يتفرد به عن الناس أجمعين.

فإن في إعادة خلق البنان مثلما كان وعلى تعقيده البالغ لمعجزة باهرة؛ إذ إن بصمة الأصبع ليست واحدة عند كل الناس؛ بل إن لكل منهم بصمة خاصة به ولا شك أن اختلاف البصمات وتميزها في كل إنسان عن الناس أجمعين هو

منتهى الإعجاز وهو ما تشير إليه الآية.. وهي إشارة إلهية لحقيقة غابت عن الناس ولم تكتشف إلا منذ قرابة مئة عام.

شيفرة بالغة التعقيد

يقول د. داود سلمان في كتابه «أسرار خلق الإنسان»: «هذه المعجزات التي هي بعدد بصمات الناس أجمعين» هي بعض ما قد بشر به الناس وأنذروا في قوله: «سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ»، (فصلت: ٥٣).

وبصمة أصابع الإنسان رسم معقد جداً من الخطوط المنحنية وهي في شكلها وفي أعداد خطوطها وانحناءاتها والمسافات بينها آية إلهية. فهي دهاليز كثيرة تحار في منحنياتها العيون.

ولا توجد صورة في الطبيعة مما تراه العين تبدو أعقد منها فهي أشبه بشيفرة بالغة الدقة والتعقيد، ومن هذه الخطوط صنعت آلاف الملايين من الشيفرات التي لا يشابه بعضها بعضاً أبداً. ولو بحثنا في كل معاجم اللغة عن تعبير يدل على واقع الحال ما وجدنا أصدق من «تسوية البنان» قولاً دالاً عليه، إنها آيات بقدر عدد هذه البصمات تدل على قدرة الخالق البارئ المصور في خلقه للناس وهم آلاف الملايين.

لم تتضح بصمة البنان بمعناها الكامل إلا في القرن التاسع عشر، وقد احتار علماء وظائف الأعضاء في معرفة الغاية من هذه الخطوط والمنحنيات وتعددت آراؤهم حولها.

بحوث بريطانية

وبصمات الأصابع هي الطبعة التي تتركها هذه الأصابع عند لمسها لأي سطح مقروناً بالضغط عليه، وقد نشر باحث بريطاني بحثاً عن هذه البصمات وقسمها إلى تسعة أصناف. ثم بدأ استعمالها في تحديد هوية المساجين لدى الحكومة على يد هيرسكل عام ١٨٦٠. ونشر بعدها بعشرين عاماً بحثاً حول نجاحه في استعمال بصمات الأصابع. وجاءت من بعده بحوث مستفيضة، تؤكد بأنه لا توجد بصماتان متشابهتان لأصابع الناس.

ولكن الباحث الذي لمع في تاريخ بصمات الأصابع هو إدوارد هنري مفوض سكوتلانديارد الجديدة. فهو الذي أسس نظاماً سهلاً لتصنيف وتجميع البصمات، وقد نشر بحثاً تحت مسمى «تصنيف واستعمالات بصمات الأصابع» عام ١٨٩٤ وصار بعد ذلك النظام معروفاً باسمه وأدخل قيد الاستعمال في إنجلترا، وهو يقسم بصمات الأصابع إلى ثمانية أصناف، وفي خلال تسعين عاماً من تجميع وتصنيف بصمات الأصابع في العالم لم يُعثر على بصمتين متطابقتين قط، وبذلك ظلت بصمات الأصابع هي أمثل طريقة لتقرير هوية الإنسان.

ويتفق القضاة ورجال الشرطة على حقيقة أنه إذا كانت هناك بصماتان متطابقتان فإنهما تجميعان من الشخص نفسه؛ إذ لم يرد في سجلات الجريمة في العالم وحتى اليوم وجود بصمتين متطابقتين ما لم تجميعاً من الأصبع نفسه.

ضد التقليد والمسح

ويمكن تشبيه البصمة بتوقيع لا يمكن تقليده أو تزييفه وعندما تم تسجيل بصمات أكثر من أحد عشر مليوناً من منتسبي الجيش الأمريكي في الحرب العالمية الثانية لم يعثر على شخصين لهما البصمة ذاتها. وخبراء بصمات الأصابع لم يختلفوا قط في آرائهم حول أية بصمة.

ولا تتغير الخصائص الشخصية المتفردة أبداً مع تقدم العمر رغم أن الندوب قد تشوش عليها، وأما محاولات مسح هذا الميسم بإحداث جروح عميقة فإنها لا تؤدي إلا إلى إضافة المزيد من التفاصيل إلى البصمة، كما أن التغيرات التي تصيب الجلد وباقي الجسم بعد الوفاة قد تبقي على بصمات الأصابع مما يشكل عوناً كبيراً للتعرف إلى هوية الجثة.

والآية القرآنية الكريمة تتحدث أيضاً عن إعادة خلق بصمات الأصابع جميعها لا بصمة إصبع واحد؛ حيث يطلق البنان على الجمع وتطلق لفظة البنان أيضاً على أصابع القدم والتي هي الأخرى علم على صاحبها، ومن هنا جاء التحدي العظيم لله تعالى في هذه الآية عن معجزة خلق الإنسان ومعجزة خلق بنانه متفرداً به وإعادة خلقه مثلما كان تماماً.

البصمة الوراثية

ولما كان التعرف إلى الإنسان ببصمة البنان لا يتكرر وترى بالعين فهناك بصمة أخرى للإنسان لا ترى إلا بالمجهر ولا

تحتاج للفحص عنها إلا لأثر ضئيل من قطرة دم قديمة أو خلية واحدة لنسيجٍ فإن عظام نخرة؛ وهي البصمة الوراثية والتي تدل عليها الآية الكريمة: «يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ»، (الطارق: ٧-٨). هي بقايا صغيرة لا تكاد تذكر (DAN) والبصمة الوراثية (الحامض النووي) الموجودة في الجينات ورمزها المختصر لأناس ماتوا من آلاف السنين من الخلية الواحدة من بقايا الإنسان تحوي كل مواصفاته الشخصية. وهي بعض مما هو محمول على خمسين ألف جين في ستة وأربعين كروموسوماً. والشيفرة الوراثية هي التي تميز كل إنسان عن غيره، وتساعد في تحديد هويته، وتعتبر أقوى من بصمة البنان المطبوعة على يده. ولا يختلف إنسان عن آخر في جوهره الذي يتكون منه فيطبعه بخصائصه التي ينفرد بها عن غيره إلا بالعوامل الوراثية. إنها معجزة (كروموسومات) أو الصلب والترائب وهي شيفرته في الجواهر مطبوعة في داخل نواة كل خلية وإن الجينات التي بها هي المسؤولة عن تكاثر الإنسان ووراثته صفاته. ويمكن للبصمة الوراثية تحديد درجة القرابة من أي شخص من بنوة وغيرها وهو ما لا تقدر عليه بصمة البنان.

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024.